التذوق الفني

الدكتور معن جاسم الامين

اهتمت الكثير من الطروحات الفكرية المختلفة للفلاسفة والمفكرين بعملية التذوق الفني باعتبارها عنصراً من عناصر التجربة الجمالية، واتفقت الكثير من الآراء على ان عملية التذوق الفني هي تعبير عن موقف الذات الإنسانية تجاه العمل الفني.

وقد جهد الباحثون في تحليل وتفسير عملية التذوق الفني وآليتها والبحث عن العوامل المؤثرة في تشكيل بنيتها، فمنهم من اهتم بالجانب الحسي، ومنهم من اعتبرها عملية عقلية. وقد اختلفت التسميات التي أطلقت على عملية التذوق الفني، فهناك من اطلق اسم الاستجابة الجمالية ومنهم من يسميها التقدير الجمالي. او الإدراك الجمالي، وغيرها من المسميات التي تناولت عملية التذوق الفني من جانب او آخر.

وعملية التذوق (Appreciation) في طبيعتها عمل ذهني ينصب على بيان قيمة فكرة او شيء، وهي نمط من السلوك الإدراكي والوجداني ينصب على الجوانب الجمالية للعمل الفني، وهو عملية واعية تتأثر بعوامل كثيرة منها الانتباه، والحالة المزاجية، والقدرات الإدراكية بشكل عام.

وتعني كلمة التذوق بمعناها العام، ابداء الرأي او الحكم وفقاً للذوق الخاص للفرد. (اسعد، ١٩٨٧- ص٢٢) ويرى نوبلر ((ان غاية التذوق الفني ينبغي ان تكون تحقيق تجربة جمالية)). (نوبلر، ١٩٨٧- ص٢٩). كما ان التذوق الفني هو القدرة على الاحساس بالعمل الفني او أي انتاج ذهني، وتبين اوجه الجمال والنقص فيه، (اسعد، ١٩٨٧- ص٢٢) ولايتأتى ذلك إلابدراسة تحليلية للموضوع الجمالي تصحبها معرفة بالعلاقات الفنية ووجوه التعبير المختلفة حتى يتسنى اصدار حكم او عقد مقارنة.

وقد وردت كلمة التذوق (Appreciation) في المعاجم بمعاني متعددة ، فهي تعني التقدير او ادراك القيمة واحيانا بمعنى الحكم . وقد فرق المعجم الفلسفي ١٩٧٩ بين كلمتي (Appreciation) و (taste) المرادفتان لمعنى التذوق فقد جاء تعريف كلمة (Appreciation) بانها عمل ذهني ينصب على بيان قيمة فكرة او شيء، ويصحبه دائماً حكم على مبلغ وصول الفكرة او الشيء الى درجة من الكمال في الخير او الجمال او الحق، ويقابل التقدير الوصف Description والتفسير Explication.

اما كلمة (taste) فهي تعني ملكة الحكم على الأعمال الفنية عن طريق الاحساس

AcroPDF - A Quality PDF Writer and PDF Converter to create PDF. To remove the line, buy a license.

المباشر والتجربة الشخصية دون التقيد بقواعد معينة، وتتدخل في هذا الحكم ميول المتذوق الخاصة. وقد اختلط المفهومان عند البعض فكلاهما يأتي بمعنى فعل الاستقبال الجمالي لمعطيات العمل الفني في وعي المتذوق، الذي يؤدي الى استمتاع ولذة جمالية وهو عند ابو حطب "نمط مركب من السلوك يتطلب في جوهره اصدار احكام على قيمة شيء او فكرة او موضوع من الناحية الجمالية"

ان الاستجابة لمعطيات العمل الفني، وإدراك وتمييز ما يتضمنه من قيم جمالية لتحقيق متعة ولذة جمالية،هي عملية حسية ووجدانية زائداً عملية إدراك وتمييز القيم الجمالية في العمل الفني من خلال المقارنة والموازنة والتفضيل ، والاستجابة للأعمال الفنية لا تقتصر على عملية إدراك الجمال والاحساس والانفعال به، بل يتعدى ذلك الى تحليل وتمييز عناصر العمل الفني، ثم القيام بعملية تقييم وحكم، متأثرة بالخبرات السابقة للمتذوق.

ترتبط عملية التذوق الفني بالخلفية الثقافية للمشاهد، وحالته المزاجية، كما تتوقف على مقدرته في النفاذ ببصيرته في العمل الذي أمامه.

ان إدراك الفنون البصرية —باستثناء المكفوفين- قد يبدو كأنه لا يؤلف اية مشكلة صعبة. لكن قلة من الأشخاص ذوي الرؤية الاعتيادية بمستطاعها ان تلاحظ كم هو محدود إدراكها في الواقع. وغالباً ما يعد الإدراك الحسي (وهو وعينا بالعالم الذي حولنا اعتماداً على المعلومة التي تصل عن طريق حواسنا) أمراً طبيعياً وصفه مسلماً بها وعلى افتراض ان كل امرئ يرى الأشياء نفسها، إلا ان علماء النفس والفسيولوجيا يقررون ان هناك اختلافاً كبيراً بين المعلومات الخام التي تصل الى الدماغ عن طريق الحواس، وبين وعينا المستند الى هذه الاحساسات (الإدراكات). (نوبلر، ١٩٨٧- ص٢٢).

ان طريقة تلقينا للمعلومات وإدراكها تعتمد على وفق قواعد النظر التي تدرب عليها الفرد (طريقته واسلوبه في الإدراك). فالمرء منذ طفولته يتدرب على الابصار، وتنمو لديه خبرات لها شأنها في تكوين قابليته على جمع الاحساسات لتؤلف شكلاً ذا مغزى. وتؤثر الفروق الثقافية في الاختلافات الإدراكية للرؤى البصرية التي هي جزء من النشاط اليومي. فاذا كان تدريب المشاهد مثلاً محدوداً بالإدراك البصري المحدد بالصورة الفوتغرافية، فلا بد انه سيواجه صعوبة في إدراك عمل فني تكعيبي، لان القواعد التي ألفها لإدراك الصورة الفوتغرافية لن تغنيه شيئاً لفهم معنى الصورة

AcroPDF - A Quality PDF Writer and PDF Converter to create PDF. To remove the line, buy a license.

التكعيبية، لان الفنان التكعيبي قد استخدم انساقاً تركيبية مغايرة لتلك التي قد تبدو في الصورة الفوتغرافية. (نوبلر، ١٩٨٧- ص٢٣-٢٤).

ان الإنسان يستجيب لشكل الاشياء القائمة امام حواسه إلا ان اللوحة الفنية "لا تقدم لنا احساسات لونية فحسب بل تجربة خيالية متكاملة لان غاية العمل الفني ليست اثارة لذة الحواس وحدها بل إرضاء الخيال"(مطر، ١٩٧٢- ص٢٩). فالعمل الفني هو موضوع مركب تدخل فيه عناصر حسية كما تدخل فيه عناصر خيالية وفكرية، وهو لغة Language، وهو تصميم Design. ويتضمن العمل الفني قيم حسية وشكلية وفق تنظيم معين. وتتفاوت الاعمال الفنية من حيث تضمينها لهذه القيمان إدراك تلك القيم والاستجابة لها من خلال السطح المحسوس للعمل الفني ينتج عنه الاحساس بالمتعة او الاحساس بعدم الارتياح او اللامبالاة او عدم الرضا والنفور.

وتعتمد عملية التذوق الفني على مجموعة من العوامل وهي الخبرة الجمالية والموقف الجمالي والاستجابة للعمل الفني والقيمة والحكم.

AcroPDF - A Quality PDF Writer and PDF Converter to create PDF. To remove the line, buy a license.